الدكتور
مصعب حسون الراوي

البعث والثقافة الثورية



منشورات الطليعـة 1989

البعث والثقافة الثورية

الدكتور مصعب حسون الراوي

بغداد 1984

المقدمة

لقد رفض حزب البعث العربي الاشتراكي ، منذ البدء القوالب النظرية الجاهزة ، كما رفض الصيغ التجريبية السائبة ، التي لا تستند الى موقف مبدئي ، وتصور نظري ، وكان هذا الموقف مدعاة للتأكيد على انه ... لا يمكن صياغة نظرية كاملة بمعزل عن التجربة ، التي تغني النظرية ، وتغني بها الامر الذي يحتم تطورهما معا ، على طريق المجتمع العربي الجديد .

والادب البعثي ، باعتباره فعالية فكرية ونضالية ، لم يكن بمعزل عن هذا الموقف المبدئي العام – اي ان البعث لم يضع منذ البدء ، صياغات نظرية محددة لمنهجة الادبي ، ولما تزل موضوعة نظرية بعثية للادب مجال استشراف وتطلع وترقب وحوار ، الا ان تجربة الادباء البعثيين لم تكن خارج اطار التصور المبدئي العام لمنطلقات الحزب الفكرية ، ولا خارج حدود نضاله اليومي منذ نشأته حتى اليوم .

فمنذ ان بدأ الادباء البعثيون يحتلون مواقعهم في ساحة الحركة الادبية العربية . كانت تلحظ في نتاجهم سمات عامة لم يكن بعضها مما يألفه الادب على النحو الذي ظهرت فيه .

ولقد اخذت هذه السمات تتضح وتتطور مع نمو مسيرة الحزب وتطورها . وتفاعل الادباء مع هذه المسيرة وبخاصة بعد قيام ثورة السابع

عشر من تموز عام ١٩٦٨ في القطر العراقي ، حيث توافرت للحزب قاعدة للبناء الثوري استطاع من خلالها ، وعبر مسيرة الثورة ، ان يبني تجربة رائدة : للبناء القومي الشامل ، ونواة فاعلة فيه

وقد اتاحت هذه المسيرة للادب البعثي فرصا اوسع للنمو والتطور في موضوعاته وافكاره واغراضه ومعانيه وصوره ، ليس من خلال الاجواء الفكرية والثقافية . التي اشاعتها الثورة حسب ، وانما من خلال المعطيات والمتغيرات الجديدة . التي احدثتها مسيرة الثورة في القطر العراقي بشكل خاص ، وفي الحركة الثورية العربية المعاصرة بشكل عام .

وخلال مسيرة الثورة . بدأت تتجسد ، شيئا فشيئا نظرية العمل الثوري، ضمن اطار منهج الحزب الفكري ، ولقد كان لاحاديث الرئيس القائد صدام حسين ، وممارساته ، وكتاباته الدور الرائد في بلورة هذه النظرية ، وتحويلها الى مفردات تفصيلية تعبر عن سمات هذه التجربة وخصائصها ، على الاصعدة الفكرية ، والسياسية والاجتماعية ، والاقتصادية .

وهكذا هيىء الجو لان تتبلور ، بشكل اوضح ، ملامح محددة للادب البعثي ، في اطرها الفنية الفكرية والموضوعية ، بحيث اصبح الادب البعثي يمتلك من المقومات والخصائص ، ما يجعله اتجاها ادبيا متميز وفاعلا في الحياة الادبية العربية ، وهذا ما يعطي للادب العربي روحا جديدة ، تساعده على تجاوز صيغ التقليد والمحاكاة للاتجاهات ، والمدارس الادبة الغربية ، الى بناء الشخصية الادبية المتميزة ، القادرة على التفاعل الحي ، مع تلك الاتجاهات ، الى جانب استلهام كل ما هو جوهري واصيل ، في تراث الامة الادبي .

ومع أهمية هذه الملاحظات في الادب ، ومع حيوتها ، ليس في الاطار العام حسب ، وانما في الجوانب التفصيلية ايضا ، الا انها ظلت بعيدة عن ان تكون موضوعا للدراسة والتحليل على المستوى العلمي هذا اذا ما تجاوزنا بعض الكتابات الصحفية ، التي لم تعط هذا الموضوع ما يستحقه من العناية والدرس المنهجي .

فمن خلال الفني للنماذج الادبية البعثية ، التي كانت تصدر خلال مسيرة الحزب النضالية ، كنت المس ، ان هذه النماذج ، بغض النظر عن موضوعاتها كانت تتميز بسمات وخصائص تمنحها طابعا خاصا • وقد آليت على نفس ، منذ ذلك الوقت ، ان اتفرغ لدراسة هذه الظاهرة بهدف الوقوف على الخيط الذي ينتظم هذه النماذج ، فاشخصه ، واصفه من خلال اخضاعه للبحث العلمي ، خدمة للادب العربي بشكل عام ، والادب البعثي بشكل خاص •

وحين اتيحت الفرصة لي لدراسة هذه المسألة دراسة علمية رحت استعيد هذه الانطباعات ، متوقعا اني سأقع حتما على مايميز الادب البعثي فنيا وفكريا من خلال الدراسة النقدية لنماذج متعددة ومتنوعة من هذا الادب ، في ضوء نظرية الحزب ، ومنهجه الفكري ، وخصوصية تجربة الثورة في القطر العراقي•

منهجية الفكر البعثي وخصوصيته

لقد نشأ حزب البعث العربي الاشتراكي ، في مفترق طرق للحركة الثورية بشكل عام ، وحركة الثورة العربية بشكل خاص ، حيث التيارات الفكرية المتباينة ، والحركات السياسية المختلفة ، الامر الذي القى على عاتق الحزب الكثير من المهمات ، على صعيدي الفكر والنضال ، لعل في مقدمتها الخروج بحركة الثورة العربية ، من دائرة الرفض السلبي لما تعانية الامة والانتقال بها ، فكريا ونضاليا ، الى مرحلة المواجهة الحاسمة مع كل التناقضات والتحديات ، التي تعيق حركة نهوضها القومي ، وصولا الى بناء المجتمع

العربي الحضاري ، الذي ينبعث فيه ماضي الامة وروحها الحية •

لقد كانت مسيرة الحزب النضالية سواء في المرحلة ، التي سبقت الاعلان من تأسيسه ، في السابع من نيسان عام ١٩٤٧ ، ام في المرحلة اللاحقة لذلك التاريخ تعبيرا عن هذه الانتقالة النوعية في حركة الثورة العربية ، حيث كانت اهدافه : الوحدة والحرية والاشتراكية ، المترابطة عضويا ، صياغة مبدئية لمتطلبات مواجهة الواقع ، وبناء المستقبل ، وهي بالتالي تعبير عن الصيغة الفكرية الشاملة لحركة الثورة العربية المعاصرة في وعيها للمرحلة التاريخية ، التي تعيشها الامة ، واهداف هذه المرحلة ، والقوى الفاعلة فيها ، وصلة هذه المرحلة بماضي الامة ، ومستقبلها •

ان الارتباط بين المنهج والنظرية من جهة ، وبينهما وبين الواقع من جهة اخرى ، يفترض التطور ، بعد انقضاء كل مرحلة تاريخية ، لاكتشاف مناهج جديدة ، تكون اكثر قدرة على استيعاب المتغيرات اللاحقة والتعبير عنها • (٢) الامر الذي يجعل من اكتشاف البعث لمنهجه الفكري ، الذي هو منهج جدلي علمي تاريخي ، تعبيرا عن حالة التطور هذه ، واستجابة موضوعية لحاجات النضال العربي في مرحلة التاريخية الراهنة ، في الوقت الذي تتحدد فيه صلة هذا المنهج بمناهج لفكر الانساني الاخرى من خلال صلته بحركة الواقع العربي وبتراث الامة •

ان هذه الصلة هي التي تعطي لمنهج الفكر البعثي خصوصيته ، كما انها هي التي تبرر اقتراب هذا المنهج من تلك المناهج ، اوابتعاده عنها •

ولهذا فأن استخدام البعث للجدل في منهجه الفكري لايعني انه يتطابق مع تلك الحركات والاتجاهات الفكرية والسياسية التي تؤمن بالجدل، بالرغم من الاجماع على تعريفه بـ (التناقض وتجاوز التناقض) • ذلك ان هذا الاجماع لايلبث ان يتمخض عن اختلافات جوهرية في فهم هذا التناقض، ومصادره ، وفي كيفية تجاوزه ، مما يؤكد تباين تلك الحركات في تحديدها لطبيعة المنطق الجدلي في مناهجها الفكرية •

فأصحاب الفلسفات المثاليـة مثلا ، يحصرون التناقض في اطار الفكر ، منطلقين من اصرارهم على اسبقية الفكر على المادة ، أما أصحاب الفلسفات المادية ، فانهم ، ومن خلال اصرارهم على اسبقية المادة على الفكر ، يحصرونه في اطار المادة وحركتها .

لقد ادى حصر التناقض في هذا الاطار ، الى ان تتسم مناهج الفكر تلك بنوع من التعميم ، والاطلاق ، والتصورات الغيبية في بعض الاحيان ، ذلك لانها لم تستوعب منطق التفكير الجدلي ، الذي يقوم علـى كشف التناقض بين الفكر والواقع ، وصيغ تجاوزه ، لخلق حالةمن التوازن لا تلبث ان تختل لتظهر تناقضات اخرى ، يتطلب حسمها حالـة جديدة يتحقق فيهـا التوازن ثانية ، لتستمر العلاقة بهذا الشكل تعبيرا عن حالة التطور التي تحتمها قوانين الحياة .

وهذا بدوره يؤكد حقيقة اساسية هي : ان التناقض لا ينحصر في جانب واحد من جوانب الحياة ، وانما هناك وحدة تناقضـات ، تحتم وحدة الحل الامثل في مواجهتها ، لخلق حالة التوازن المطلوبة .

ان ادراك البعث لهذه الحقيقة هو الذي اوصله الى اكتشاف الجدل العلمي ، ليتجاوز بذلك المفاهيم المثالية والماديـة المجردة ، وليحقق اضافـة نوعية للفكر الانساني ، انقذتـه من اطر التفكير الفلسفي المجرد ، وفتحت الطريق امامه للتعامل مع الواقـع بشكل موضوعي ، يقوم على تحليل هذا الواقع تحليلا علميا ، لاكتشاف وحدة تناقضاته ، وتحديد نظرته ، ونهجـه في التغيير والبناء ، من خلال منظور حضاري انبعاثي ، يستوعب علاقة هذه التناقضات بمرحلتها التاريخية .

وهذا المنظور الحضاري هو الذي اعطى للجدل العلمي تعد التاريخي ليستوعب العلاقة بين ماضي الامة وحاضرها ومستقبلها اولا ، والعلاقة بين تجربة الامـة ، وتجارب الامم الاخرى المعاصرة ثانيا ، فكانت نظرة الحزب المتميزة للتراث العربي والانساني ، كما كان موقفه النقدي الواعي من حضارة العصر ، تعبيرا عن هذه البعد التاريخي في منهج الفكر البعثي •

ان التطور ، الذي احدثه البعث في مناهج الفكر الانساني من جهـة وتطور المجتمعات البشرية ، من جهة اخرى ، قد اثبتا بما لايدع مجالا للشك في كون القومية حقيقة حية فاعلة ، تعبر عن وجودها بما تصنعه لنفسها من نظام يستوعب خصائصها الذاتية والموضوعيـة ، ويؤكد دورها في بناء الحضارة الانسانيـة • وهذا يعني ان الفكر الانساني في كـل مجتمع من المجتمعات البشرية قديما وحديثا ، ينطبـع بالطابـع الوطني والقومي الخاص بتلك المجتمعات ، سواء في المفاهيم النظرية ، او في التطبيقات العمليـة ، ليكتسب بذلك سماته المعبرة عن خصوصية ذلك لمجتمع •

ولهذه فانه من الطبيعي ان تكون لمنهج الفكر البعثي خصوصيته المعبرة عن خصوصية الامة ، سواء على صعيد المنطلقات المبدئيـة ، او على صعيد الوسائل والصيغ العملية ، باعتبار ان قيمة اي فكر انما تكمن في قدرته على التحول الى وقـع مادي في لتطبيق ، واحداث التغيير المطلوب في الحيـاة السياسية والاقتصادية والاجتماعيـة في ذلك المجتمع • اي ان تكون وحدة الفكر والممارسة هي التعبير الامثل عن العلاقة بين المباديء وحركة الواقع •

وهكذا يصبح من البديهي ، التأكيد على انه لا وجود لنظرية واحدة مطلقة ، يكتشفها بعضهم ليتبناها الجميع ، وانما هناك نظريات متعددة ، هي نتاج لتطور تجارب الامم ، والتفاعل الحاصل بينها ، (وان الحصيلة النهائيـة

لتفاعل نظريات العالم هي النظرية الصالحة ، والقانون الذي يصلح في اساسياته العامة لكل الامم والشعوب) •

فالطريق الخاص المستقل ، الذي ينشده البعث ، فكرا وممارسة لا يتعارض وقانون الحياة في التفاعل بين الامم قطعا ، بل انه سبيل هذا التفاعل والاطار الطبيعي لتعميقه ، وليس التبعية والتقليد والمحاكاة • ذلك ان التقليد يقود الى الجمود ، في حين ان اكتشاف الصيغ يقود الى الابداع •

وتتضح خصوصية الفكر البعثي الى جانب ماذكر ، فيما ياتي :

اولا : وعي العلاقة بين النضال القومي والنضال الاشتراكي

لقد اتخذ البعث القومية منطلقا له ، الا انه • ومن خلال منهجه الفكري، انعطف بها ، من حركة انتماء محض ، موجهة ضد الاستعمار الى حركة تحرر شاملة ذات محتوى اقتصادي ، واجتماعي ، وانساني ، وحضاري ، فكان بذلك اول حركة في الوطن العربي ، بل في العالم الثالث ، ربطت بين النضال القومي ، والنضال الاشتراكي ، واكدت تلازمهما ، بحيث اصبحت هذه العلاقة سمة اساسية من سمات الفكر البعثي وخصوصيته •

وتتضح اهمية هذا الجانب من خلال ملاحظتين اساسيتين :

اولاهما : طبيعة الوحدة القائمة بين التناقضات الراهنة في المجتمع العربي ، من تجزئة وتخلف واستعمار واستغلال ، والتي بدورها تحتم وحدة الحل الامثل في مواجهة هذا التناقضات •

وثانيهما : •واقع التيارات الفكرية ، والحركات السياسية التي لم تستوعب وحدة تناقضات الواقع العربي ، فراحت تتأرجح بين الموقف الرافض للنضال القومي ، والموقف الرافض للنضال الاشتراكي ، بغض النظر

عن الاسباب التي تكمن وراء هذا الرفض او ذاك ، وما يعنيه ذلك من اغفال لاحد قطبي الصراع في الحياة العربية المعاصرة .

لقد ادرك البعث ان صراع الامة ، في وجودها ، وفي شكل هذا الوجود ، هو صراع قومي وطبقي في الوقت نفسه ، وكان هذا الادراك منطلقا للتأكيد على انه لا حرية في ظل الاستعباد الاستعماري ، او الاستغلال الطبقي ، ولا اشتراكية في ظل واقع التجزئة المفروضة على الامة ، ولا وحدة بلا محتوى تقدمي ديمقراطي اشتراكي ، يحقق للجماهير حريتها ، ويلغي كل انواع الاستغلال .

وتجدر الاشارة هنا الى أن التأكيد على هذه العلاقة بين اهداف الحزب ، لا يتعارض وصيغ العمل المرحلي لتحقيق هذه الاهداف كلا او جزء ، بل ان المنطق العلمي يفرض هذه المرحلة ، باعتبارها ضرورة عملية لمواجهة الواقع العربي .

فعندما تتوافر الشروط المناسبة لتحقيق اي من هذه الاهداف ، او اي جزء ، بل ان المنطق العلمي يفرض هذه المرحلية ، باعتبارها ضرورة عملية على انه خطوة على طريق استكمال تحقيق هذه الاهداف ، وليس بديلا عنها . وهذا ما يفسر نظرة الحزب الى ثورة السابع عشر من تموز عام ١٩٦٨ ، واعتباره التجربة ، التي يبنيها في القطر العراقي ، خطوة على طريق البناء القومي الشامل .

ثانيا : وعي العلاقة بين الاصالة والمعاصرة :

مع دخول الوطن العربي مرحلة النهضة الحديثة أخذ الحديث عن الاصالة والمعاصرة ابعادا شتى ، واتجاهات مختلفة . فبعضهم كان يرفض

وعي لمتطلبات هذا العصر ، ولمستلزمات الانبعاث والتجدد ، وتحقيق الصلة الحية بماضي الامــة ، عبر التمثل الحي لانبل ما في حضارة العصر من ابداع، وبما ينسجم وخصوصية الامــة ، وحاجات النضال العربي •

وهكذا يتضح مما تقدم ان البعث قد امتلك منهجا فكريا خاصا ، له سماته المميزة ، وان هذا المنهج كان المنطلق لبلورة عقيدة عربية جديدة تحمل روح الامة وتراثها ، وفي مقدمة ذلك روح الرسالة السماوية ، كما تستوعب واقع المرحلة ومعاناتها ، وتتطلع لاستعادة دور الامة الحضاري الانساني •

فهي عقيدة قومية اشتراكية تؤمن بالثورة سبيلا وحيــدا للتغيــير والبناء•

في الثقافــة والادب

من الواضــح ان الاستخدام الاصطلاحــي لكلمة الثقافة بالمعنى الذي يقابل كلمة (Culture) بالانجليزية هو وليد النهضة المعاصرة ، كما هو الشأن في استخدامه اصــلا في الغرب ، الا ان الباحث يستطيع ان يتلمس بعض المعاني القريبة من هذا الاستخدام ، في اصول اللغــة العربيــة ، واستخدامها للفعل ثقف ، حيث جاء في لسان العرب : (ثقف الشيء ثقفا وثقافة وثقوفه ، حذقه • ورجل ثقف ، حاذق فهم ، ••• ويقال ثقف الشيء بمعنى تعلمه بسرعة) •

ومع ان البحث لا يهدف الى استعراض تطور مفهوم الثقافة ، والتعاريف التي شاعت بشأنه ، الا ان الضرورة تقتضي الاشارة الى بعض هذه المفاهيم والتعريفات ، تمهيدا لتحديد مفهوم البعث للثقافة ، وعلاقة ذلك بالادب •

فعالم الاجتماع الانجليزي (تايلر) يعرف الثقافة بانها : (ذلك الكل المركب الذي يتضمن المعرفة ، والمعتقد ، والفن ، والاخلاق ، والقانون ،

والعادات ، واية قدرات اخرى ، وعادات ، اكتسبها الانسان كعضو في المجتمع)[1] •

اما علم الاجتماع الماركسي فيرى ان الثقافة هي (المجموع الكلي المحدد تاريخيا للافكار ، والافعال ، والعادات ، والمعارف لدى الناس ، والمرتبطة بتطور الصراع الطبقي ، وتطور العمل ووسائله) حيث يلاحظ هنا التركيز على الجانب الطبقي المادي للثقافة ، في حين يتسع التعريف عند علماء الاجتماع الغربيين الى عناصر مادية واخرى غير مادية •

كذلك نجد الى جانب هذين التعريفين ، تعريفات اخرى تعبر عن منظور الايدلوجيات المعاصرة للثقافة ، وهذه التعريفات على تنوعها وتباينها بحكم تباين الايدلوجيات ، واختلافها ، لاتعد الثقافة تيارا خارج المجتمع ، بل ظاهرة من ظواهره ، غير انها تضع اطارين للثقافة : الاول فكري ويقصد به القدرة على استيعاب المعارف والدقة في التفكير ، والثاني تطبيقي ، ويقصد به الممارسة لنشاطات وفعاليات ، تهدف الى خلق شروط افضل لوجود المجتمع وتطوره •

فالثقافة عند هؤلاء نابعة من الواقع عبر الممارسة الاجتماعية ، ولهذا فهي ، اما ان تهدف الى تكريس هذا الواقع ، كما هو شأن الثقافة البرجوازية والرجعية ، أو الى تغييره ـ أي الواقع ـ تبعا لطبيعة هذه الثقافة ، ولنوعية الفئة الاجتماعية المؤمنة بها ، كما هو الحال بالنسبة للثقافة الثورية • ولهذا فانهم يشترطون كون الثقافة جزءا اساسيا من الحركة الفكرية الشاملة للمجتمع ، كي تكون قادرة على فهمه ، ومن ثم العمل على تغييره •

مما تقدم يتضح ان الثقافة ترتبط بطبيعة المجتمع ، وتناقضاته ، وتعبر عنها ، ولهذا يصح القول بأن لكل مجتمع ثقافته الخاصة به ، من غير ان يكون هذا التأكيد مدعاة للانغلاق على الذات لان مثل هذا الانغلاق ، وان كان شبه مستحيل في هذا العصر بحكم توسع وسائل الاتصال بين الشعوب ونموها ، سيقود حتما الى جمود الثقافة وتخلفها •

وهكذا فان اختلاف الواقع الاجتماعي والسياسي لشعوب العالم الثالث ، ومنها شعبنا العربي ، وتعدد تناقضاتها ، لابد من ان ينعكس بصورة مباشرة على ثقافتها لتتخذ طابعا مميزا لها ، وخاصا بها ، باعتبار ان الظاهرة الاستعمارية ، التي عانت منها هذه الشعوب ، وما نجم عنها من تجزئة وتخلف واستغلال ليست الا عدوانا قوميا ، وان مواجهة هذا العدوان ، في مختلف نواحي الحياة ، تتخذ طابعا قوميا ذا مضمون اجتماعي مرتبط بطبيعة النضال ضد هذا الاستعمار ، والقوى والفئات المتحالفة معه • بحيث يصبح النضال اهم عنصر من عناصر الثقافة القومية بالنسبة لتلك الشعوب •

وعلى هذا الاساس يمكن الاشارة الى اربعة ابعاد اساسية في الثقافة المعاصرة :

اولا : البعد الخاص بقومية الثقافة ــ أي خصوصية كل امة في بنائها الثقافي المعبر عن وجودها ودورها في الحضارة المعاصرة •

ثانيا : البعد الخاص بالعمق التاريخي للثقافة ــ اي صلتها بماضي الامة ، وتراثها الحضاري ، الى جانب التراث الانساني •

ثالثا : البعد الخاص بقدرة الثقافة على استيعاب معطيات العصر ، والتفاعل الايجابي ، مع الثقافات المعاصرة للامم الاخرى •

رابعا : البعد الخاص بثورية الثقافة ــ اي قدرتها على مواجهة الواقع وتغييره ثوريا من خلال الكفاح ضد الاستعمار ، وكل مظاهر التجزئة والتخلف والاستغلال •

وبقدر تعلق الامر بحركة الثورة العربية وحزبها القائد ــ حزب البعث العربي الاشتراكي ــ فاننا نجد مفهوما خاصا للثقافة يعبر تعبيرا فكريا وعمليا عن حاجات الانبعاث القومي • ذلك ان المرحلة التاريخية ، التي تعيشها الامة ، والتي تتسم بنهضة شاملة ، تتطلب من الثقافة ان تكون سلاحا فعالا

في المعركة ، التي تخوضها الامــة ، من اجل وحدتها وحريتها وتقدمها ، بحيث تصبح الثقافة جزء من الكفاح المسلح ، ومن جميع اشكال النضــال القومي .

ولقد اخــذ البعث بعين الاعتبار ، في تحديده لمفهوم الثقافة ، جانبيين اساسيين :

الاول : المرحلة التاريخية التي تعيشها الامــة ، وصلتها بالمراحل الماضية ، القومية والانسانية ، وبالعصر الذي تعيش فيه .

الثاني : طبيعة التناقضات القائمة في الواقع العربي وسبل مواجهة هــذه التناقضات .

فالامة تعيش حالة التناقض والمواجهة بين ما هو جوهري في حياتها ، ويعبر عن طموحاتها للانبعاث والتجدد ، وما هو طارىء بفعل مخلفات المرحلة الاستعمارية ، وان الثقافة العربية ، انما تتبع من ارض هذه المواجهة وتعبـر

وبهذا المفهوم القومي الثوري للثقافة ، تكون الثقافة العربية المعاصرة ، قد تجاوزت الاتجاهات السلبية المتخلفة ، التي طبعت المفاهيم والنظرة الــى الثقافة ، في الوطن العربي ، بطابعها ، واثرت فيها تأثيرا لا تزال تعاني منــه ، بما في ذلك من تيارات قطرية ، أو اممية أو ليبرالية ، أو سلفية ، لم تستطع ان تستوعب كامل ابعاد القضية العربية ، وظلت تعبر عن جانب من جوانبها ، بما كانت تمثله من امتداد تقليدي للتيارات الثقافية ، التي رافقت الغزو الاستعماري للوطن العربي ، قبل الحرب الكونية الاولى ، وبعدها

هذا فيما يتعلق بالثقافة ، اما الادب ، فقد كان هو الاخر ميدانا توسعت فيه الاراء ، وتشعبت فيه الاختلافات بحكم كونه جزء من الثقافة اولا ،

وبحكم خصوصيته من حيث كونه عملية ابداعية ثانيا • فقد اختلف الباحثون في تعريفه ، وتحديد انماطه واغراضه ومجالاته ، كما اختلف الادباء في التعبير عن اتجاهاتهم الادبية •

وهكذا نجد ان قسما من الباحثين قد توسع في تعريف الادب ،حتى جعله شاملا لكل شيء قيد الطبع ، وبالشكل الذي ادى الى اغفال الجانب الجمالي فيه ، ومنهم من اقتصر مفهومه للادب على الاعمال التي تغلب عليها الوظيفة الجمالية ، وبالشكل الذي يغفل الجانب الموضوعي في الانتاج الادبي •

كذلك كانت هناك تعريفات اخرى ، تعبر عن وجهات نظر فلسفية وفكرية ، غير انها لا تخرج في مآلها النهائي عن الدائرتين السابقتين ، أو الجمع بينهما ، كالتعريف الذي يرى في الادب (صياغة فنية لتجربة بشرية) ، او التعريف الذي يقول : (ان الادب نقد الحياة) •

اما طه حسين ، فانه وبعد ان استعرض الكثير من الاراء التي تتناول اصل كلمة (ادب) يعرفه بقوله :

(هو ما يؤثر من الشعر والنثر ، وما يتصل بهما لتفسيرهما والدلالة على مواضع الجمال فيهما) •

ثم انه انطلاقا من هذا التعريف يقسم الادب الى نوعين هما : الادب الانشائي ، والادب الوصفي • اذ عد الكلام نظما ونثرا من النوع الاول ، واصفا اياه بانه الأدب الصحيح ، والادب الحق ، لانه حسب مايرى، من الاثار التي يحدثها صاحبها ولا يريد بها الا الجمال الفني • وعد ما يتناول الادب

الانشائي تفسيرا وتحليلا ، من نقد وتاريخ ادب ، من النوع الثاني .

ويلاحظ انه ليس في عملية التقسيم هذه ، في تعريف طه حسين ، خروج عن تلك التعريفات ، التي لا ترى في الادب الا وظيفته الجمالية ، في الوقت الذي تغفل فيه الجانب الموضوعي في العمل الادبي .

ان اكثر المفاهيم ، التي تتناول حد الادب انسجاما مع حقيقته ، في المرحلة الراهنة ، هو المفهوم الذي يرى ان للادب وظيفتين متلازمتين هما : الوظيفة الجمالية ، والوظيفة الحياتية ـ أي التعبير الجميل عن متطلبات بناء الحياة الجديدة بجانبيها الجمالي والموضوعي بحيث يستحيل وفق هذا المفهوم ان نعد ادبا ذلك الذي يكتفي بجانب واحد على حساب الجانب الاخر .

وتأتي قيمة هذا التحديد لمفهوم الادب من خلال الفهم البعثي للثقافة ، باعتبار ان الادب بشكل عام ، والشعر بشكل خاص ، يعد ركنا اساسيا من اركان الثقافة العربية ، قديما وحديثا ، ليس في جمالياته حسب وانما في مضامينه ايضا ، ويكفي ان نذكر بدور الشعر في التعبير عن روح الثورة في الامة ، عبر مختلف مراحلها التاريخية ، للتدليل على موقع هذا الفن في البناء الثقافي العربي .

ان الاختلاف في مجال الادب لم يقف عند حدود التعريف وانما تعداها الى اوجه اخرى ، في مقدمتها اختلاف المدارس والاتجاهات الادبية ، وكذلك اختلاف الادباء ، فيما ينتج من اعمال ادبية ، سواء على صعيد الشكل

والمضمون ، أم على صعيد الخيال ، وكذلك الانماط والاغراض الادبية ، الى جانب اختلافهم في الموقف من غاية الادب •

وبقدر تعلق الامر بالادب العربي الحديث ، والمعاصر منه على وجه التحديد ، تجدر الاشارة الى ان هذا الادب ، بنظمه ونثره ، قد تأثر من حيث الشكل والمضمون والموضوعات والانماط بما انتجه الغرب من آداب واتجاهات ادبية متباينة • وان هذا التأثر لم يكن ليتجاوز صيغ التقليد والمحاكاة عند بعضهم ، فيما كانت هناك محاولات جادة ، مثلت بداية التوجه الصحيح نحو ادب قومي يتفاعل مع افضل ما في الاداب الحديثة وتياراتها ، عبر موقف نقدي يستند الى ما في تاريخ الامة من تراث ادبي اصيل • مما حتم بلورة اتجاه ادبي عربي يعبر عن خصوصية الامة ، ودورها في البناء الحضاري، خاصة وان في تراث الامة الادبي مايشكل خلفية لهذا الاتجاه، ونعني به التراث الفكري الثوري للادب العربي ، الامر الذي يستوجب عرض موقف الحزب الفكري من طبيعة الادب شكلا ومضمونا وموضوعا وانماطا أدبية •

فعلى صعيد الشكل والمضمون ، والعلاقة بينهما في العمل الادبي عامة ، وفي الشعر خاصة ، نجد ان الحزب ، ومن خلال استيعابه لمعادلة العلاقة بين الاصالة والمعاصرة ، لم يكن ليتعصب للقديم ، كما يفعل السلفيون بحجة التمسك بالتراث والحفاظ عليه • كذلك فانه لم يكن لينقطع عن هذا القديم ، وينغمس في الحديث دون تمحيص ونقد ، كما يفعل الاغترابيون بحجة التقدم ، ومواكبة العصر •

حتم بلورة اتجاه ادبي عربي يعبر عن خصوصية الامة ، ودورها في البناء الحضاري، خاصة وان في تراث الامة الادبي ما يشكل خلفية لهذا الاتجاه، ونعني به التراث الفكري الثوري للادب العربي ، الامر الذي يستوجب عرض موقف الحزب الفكري من طبيعة الادب شكلا ومضمونا وموضوعا وانماطا أدبية •

فعلى صعيد الشكل والمضمون ، والعلاقة بينهما في العمل الادبي عامة ، وفي الشعر خاصة ، نجد ان الحزب ، ومن خلال استيعابه لمعادلة العلاقة بين الاصالة والمعاصرة ، لم يكن ليتعصب للقديم ، كما يفعل السلفيون بحجة التمسك بالتراث والحفاظ عليه • كذلك فانه لم يكن لينقطع عن هذا القديم ، وينغمس في الحديث دون تمحيص ونقد ، كما يفعل الاغترابيون بحجة التقدم ، ومواكبة العصر •

ولان موقف الحزب نابع من هذا التصور المبدئي ، فانه (لم يلزم ادباءه بتبني صيغة شكلية جمالية محددة ، وانما ترك لهم حرية الابداع ضمن اطار الموقف المبدئي الملتزم) • ولهذا فأن استخدام مختلف ادوات التعبير المعاصره مثل الرمز والاسطورة والحوار ••• الخ ، الى جانب ما هو اصيل في موروث الامة من ادوات التعبير ، يعد أمرا منسجما ومفهوم الحزب لهذا الجانب ، شريطة ان لا يكون استخدام اشكال التعبير هذه مدعاة للاخلال بالمقومات الاساسية للابداع الادبي وان يكون منسجما مع اصالة اللغة وسلامة التركيب •

وحيث ان الادب ينطوي على وظيفتين متلازمتين هما الوظيفة الجمالية والوظيفية الحياتية ، أو الموضوعية ، فان العلاقة العضوية بين الشكل والمضمون ، تعد شرطا اساسيا من شروط الابداع ، وان أي انفصام بينهما

يعني نوعا من الانقطاع بين النتاج الادبي والحياة • ذلك ان الادب عند البعث ، ليس مجرد انعكاس لحركة الواقع المادية ، كما يرى ذلك الفكر الماركسي بل هو التفاعل الحي مع هذه الحركة ليؤثر فيها ، كما يتأثر بها •

وعلى هذا الاساس يصبح المضمون تعبيرا عن معايشة الواقع الجديد بكل ابعاده وتحديد موقف معين منه ، ومن العالم • وهو بهذه الحالة يعطي الشكل حدوده وصورته ـ اي ان الشكل يأخذ اطاره الظاهر بتأثير المضمون ، وليس العكس ، اي ان يطوق الشكل المضمون ويحدده ، كغلاف ، وهذا كله مشروط بعدم اهمال القيم الجمالية للادب في اطار الشكل بحجة فعل المضمون وتأثيره او بحجة الاهتمام بهذا المضمون •

وبقدر تعلق الامر بمسألة الشكل والمضمون تجدر الاشارة الى مسألتين اساسيتين :

المسألة الاولى : التوصيل

ويقصد بها ايصال تأثير العمل الادبي الى الجمهور الذي يتوجه اليه الادب ، باعتبار ان الادب ، عند البعث ، وان كان يعنى بالجمال والذوق والاحساس والخيال ، فهو غير معزول عن الفكر المرتبط بمصالح الامة، وقواها الثورية ، حيث تظهر غاية الادب • وان تحقيق عملية التوصيل هذه لا يتم الا من خلال دور النقد ، كدور مكمل ، حين يأخذ على عاتقه مهمة تحليل النص الادبي لابراز مواطن الجمال فيه ، او لتوضيح صوره ومعانيه ، لتكتمل بذلك عملية التأثير بين الادب والجماهير باعتبار ان للادب دورا تربويا يساهم

في تطوير وعي الجماهير بدورها في بناء الحياة الجديدة . وبخلاف ذلك اما ان ينحدر الادب الى مستوى المباشرة والتقريرية ، وبالشكل الذي يفقد فيه اصالته وابداعه ، واما ان يكون منغلقا على نفسه في اطار من الابهـــام والغموض . وبالشكل الذي يفقد فيه القدرة على التأثير .

المسألة الثانية : الالتزام :

وهي المسألةالتي يتم من خلالها الحكم على الاديب ، وعلى طبيعة النص الادبي ، من حيث كونه مع الحزب او ضده ، او كونه مقبولا وغير مقبول . وفي هذا الصدد يتحدد موقف الحزب بتأكيده على طبيعة العلاقة بين الذاتي والموضوعي ، بحيث لا يكون هذا الالتزام من خلال الحاق الادب بالسياسة، او اعطاء السياسة بعدا ادبيا فنيا ، وانما يكون من خلال موقف الاديب مـن قضايا امته ، ومن طموحها في التجدد والانبعاث ، شريطة ان (لا تفرض على الاديب صيغ قسرية تقتل ابداعه ، وتنال من حريته في التعبير الجمالي ضمن موقفه المبدئي العام) . بحيث يمكن القول بان الادب البعثي لا يقصد به الادب الحزبي بالمعنى الضيق للكلمة ، كما تشترط ذلك الماركسية في نظرتها للادب ، غير انه لا يهمل هـذا الجانب ، ويكتفي بالاطـار العـام .

اما على صعيد الموضوعات الادبية ، فتجدر الاشارة الى أن جدلية الحياة عند البعث ، وخصوصية تعامله معها ، كانت السبب وراء تجاوز تلك الثنائيات التي كانت تعرض بصيغة التضاد ، حيث الفرد بالضد من المجموع ، والذاتي بالضد من الموضوعي ، والطبقة بالضد من القومية ، والقطر بالضد

من الوحدة القومية ، والقومية بالضد من الانسانية ، والحرب بالضد من الحب ، والهدوء والاستقرار بالضد من النضال والثورة ، بحيث اصبح لكل اديب ميدانه الخاص المتميز على سائر الموضوعات الاخرى •

ان تجاوز البعث لهذه الثنائية في نظرته للحياة ، يعني من الناحية العملية ، ان موضوعات الادب البعثي قد اخذت شموليتها ، في التعبير عن هذه النظرة الجديدة للحياة العربية ، فاصبحت الحرب ، وهي وسيلة من وسائل الامة للتحرر من السيطرة الاستعمارية ، طريقا لصنع الحياة الجديدة ، شأنها شأن الحب ، الذي هو رمز من رموز الوجود الانساني ، ومصدر من مصادر الحياة ، وشأن الثورة ، التي هي قدر الامة في الانبعاث والتجدد •

كذلك ، ومن خلال مفهوم الحزب للعلاقة بين النضال القومي والنضال الاشتراكي ، لم تعد الامة بالضد من الطبقة ، وانما اصبحت الامة هي الطبقة في نضالها من اجل التحرر من الاستغلال والتخلف والتجزئة والسيطرة الاستعمارية •

ومن خلال هذا المنطلق ايضا ، وبحكم مرحلية النضال ، اصبح القطر فيخدمة الامة ، كما اصبحت الامة وعاء لهذا القطر ، وبالتالي فان اي تقدم يحققه هذا القطر العربي او ذاك ، ولاجل ان يكون هذا التقدم حقيقيا وفاعلا، فلا بد من ان يكون ذا بعد قومي ، يتجه الى تسخير كل الطاقات ، من اجل الامة ، في سائر اقطارها ، فلا مستقبل للقطر بمعزل عن الامة ، ولا مستقبل للامة بمعزل عن وحدة اقطارها •

م بالنسبة لعلاقة الامة بالامم الاخرى ، فان البعد الانساني للنضال القومي هو الذي يؤطر هذه العلاقة ، بالضد من النزعة الامية المجردة ، أو النزعة العنصرية الاستعمارية .

وتأسيسا على منطلقات الحزب المبدئية في النظره الى الحياة ، وبقدر تعلق الامر بوضوعات الادب البعثي ، يمكن القول : ان تأكيد الحزب على دور الانسان العربي ، وموقعه في عملية البناء الجديد ، تعد اطارا مبدئيا لفهم العلاقة بين الفرد ، والمجتمع ، ليس على صعيد الابداع الادبي حسب ، وانما على مختلف الاصعدة ذات العلاقة في بناء الامة حاضرا ومستقبلا .

فالفرد ، عند البعث ، ليس مجرد وسيلة تستنزف من اجل المجموع كما انه ليس غاية مجردة لذاته ، تقف بالضد من هذا المجموع ، وانما هو وسيلة البناء الجديد وغايته ـ أي أن الامة عند البعث ، ليست حاصل جمع أفرادها حسب . وانما هي ايضا ، حصيلة تفاعل هؤلاء الافراد ، وابداعهم .
وبالتالي فان الاديب البعثي حين يتناول الانسان الفرد ، في وجوده ومعاناته وتطلعاته . فانه يتناوله من خلال وجود الامة ومعاناتها وتطلعاتها .

من هذه المنطلقات المبدئية اخذت موضوعات الادب البعثي تنوعها وتداخلها ، فحين يكتب الاديب البعثي عن الحب فهو يكتب عن الانسان والامة و... الجديد ، وحين يكتب عن الحرب ، فهو يكتب عن حبه للارض وللانسان وللكرامة ، وحين يكتب عن هموم قطره ، فهو ينظر الى هموم الامة ومعاناتها ، ويجعل من معالجة هموم القطر طريقا لمعالجة هموم الامة ، وحين يكتب عن ذاته ، او عن الاخرين ، فهو يكتب عن الانسان العربي جميعه . في معاناته ، وفي تطلعاته نحو الغد الجديد .

وهكذا فليس في امكان الباحث ان يلمح في الادب البعثي ، وبسهولة موضوعات مجردة مجزوءة عن بعضها ، ذلك ان الحياة العربية بمعاناتها ، بجمالها ، بعناصر القوة فيها ، بتطلعاتها لبنـــاء المستقبل واستعادة المجد ، والنضال من اجل ذلك ، قد اعطت لموضوعات الادب البعثي ، ومن خلال هذه النظرة المبدئية الاصيلة ، شمولية تتسع لكل مظاهر الحياة ، لان الادب، عند البعث ، للحياة ولصناع الحياة •

كذلك فان ادبا هذه غايته ، وميدانه الحياة العربية في ماضيها وحاضرها ومستقبلها ، لابد ان تكون انماطه قادرة على التعبير عن هذه الحياة ، وبالتالي فهو لن يقتصر على نمط ادبي دون سواه ، مهما وضع لذلك من تبريرات ، وانما على العكس من ذلك ، فهو يتسع لكل الانماط الادبية من شعر وخطابة ومسرح وقصة ورواية ومقالة وخاطرة ، او اي نمط آخر تخلقه الظروف ، التي تبرر الحاجة اليه ، شريطة ان يكون ذلك منسجما مع اصالة التراث الادبي للامة ، ومستوعبا لروح العصر •

بين الادب والعقيدة والثورة

يختلف السياسيون والمفكرون ، والثوار ، في تعريف الثورة ، وتحديد مفهومها ، بحكم اختلاف الثورة من حيث الزمان والمكان ، وطبيعة الاهداف، فلا وجود لمفهوم واحد عام للثورة ، وان القول بوجود مثل هذا المفهوم ، لا يعبر الا عن نظرة جامدة لا تمت الى الفكر العلمي بصلة •

ولهذا فأن الحديث عن الثورة هنا ، انما هو حديث عن الثورة العربية في مرحلتها الراهنة ، وهي ثورة قومية اشتراكية ، تهدف الى تغيير البنيـــة

السياسية والاقتصادية والاجتماعية والفكرية ، في المجتمع العربي ، بهدف اعادة بنائه بما ينسجم وماضي الامة وحضارة العصر ، ذلك ان التحليل العلمي للواقع العربي يشير الى وجود تناقضات اساسية ، وتحديات مصيرية ، تتمثل في التجزئة والتخلف والاستغلال والوجود الاستعماري بمختلف اشكاله ، وبالتالي فانه من الطبيعي ان تصبح الثورة خيارا وحيدا لمواجهة هذا الواقع وبناء الحياة الجديدة .

ان فهم حزب البعث للثورة ، وللعمل الثوري ، لم يقم على اساس من التصورات النظرية المجردة ، وانما على اساس من وعيه للواقع العربي الراهن، والقوانين الفاعلة فيه ،والقوى الكامنة في داخله ، الى جانب وعيه لتراث الامة ، واستلهامه له ، وتمثل حضارة لعصر تمثلا حيا ، جاعلا ـ اي الحزب ـ من ذلك كله منطلقا لبلورة نظريته الثورية ، التي بنيت لبنة لبنة عبر تطور حركة النضال العربي في مواجهة التحديات والتناقضات .

ولقد اخذت الثورة ، ومن خلال هذا الفهم المبدئي ، معنى الانقلاب الجذري الشامل في حياة العرب المعاصرة ، افرادا وامة ، لان تحويل عقيدة البعث ، القومية الاشتراكية ، الى واقع مادي في التطبيق يستوجب احداث مثل هذا الانقلاب ، الذي لن يتحقق الا بتفجير ثلاث ثورات دفعة واحدة : ثورة علمية على الصعيد الفكري ، وثورة على الصعيد الاقتصادي ، وثورة قومية ضد الاستعمار والتجزئة .

فالارتباط بحركة الواقع عبر تحديد تناقضاته وسبل مواجهة هذه التناقضات ، وفي التصور المبدئي لاهداف النضال العربي المعاصر ، والايمان بوجوب تحقيق الانقلاب الجذري الشامل في حياة الفرد والامة ، كشرط اساسي لبناء المجتمع الجديد ، الى جانب الايمان بدور الجماهير ، باعتبارها صاحبة المصلحة المشروعة في التغيير والبناء ، يعني من الناحية الموضوعية ان العقيدة والثورة ، عند البعث ، يشكلان وحدة لا انفصال فيها .

كذلك فان وحدة الفكر والممارسة ، عند البعث ، تشكل شرطا اساسيا من شروط العلاقة بين العقيدة والثورة ومظهرا من مظاهرها ، ذلك انه لا ثورة حقيقية تمتلك القدرة على التغيير والبناء بلا عقيدة ثورية ترشد خطى الثائرين، ولا عقيدة اصيلة تهدف الى تغيير الواقع بلا ثورة تجعل من اهداف تلك العقيدة واقعا ماديا في التطبيق ٠

وعلى اساس من هذه العلاقة بين العقيدة والثورة ، ولان العقيدة تمثل اضاءة لمبررات الثورة ، وعواملها ، وشروطها ، فان الادب الذي يساهم في عملية الاضاءة هذه ، كما سنرى ، يعد جزء من العقيدة مع ملاحظة ان هناك شيئا خاصا في الادب ، وهو انه لا يكتفي بمخاطبة المنطق السياسي ، والفكر العقائدي ، والجوانب العقلانية الخالصة ، وانما يتوجه ايضا الى ابعاد اخرى في الشخصية ، هي الابعاد الروحية والانسانية والوجدانية ٠

ان الثورة تعني ، فيما تعني ، فان اعادة بناء المجتمع ، وهذا يعني انها تتضمن نظرة فنيةالى الحياة، تجعل من الثائر انسانا ينطوي على الفنان فيداخله ـ اي ان الفنان ، وفق هذا المنظور ، مشروع ثائر ، ولكنه لا يتجاوز ذاته الا اذا التحم بحركة الجماهير ، كشرط اساسي لاتحاد الفنان بالثائر في داخله ٠

فلا الادب ولا العقيدة ، يمكن ان يفهما ، في البعث ، من غير الصلة المباشرة بالمشروع الثوري الكبير ٠ كذلك الامر بالنسبة لفهم البعث للثورة في ابعادها الفكرية ، التي تنطوي على ميادين متعددة ، لكل منها خصوصيته، والادب واحد من هذه الميادين التي تزداد اهميتها مع تطور النضال العربي ، حيث اصبح الادب ، بفعل التصاقه بالثورة ، أحد أهم الانشطة الانسانية التي تسهم في تحرير الانسان ، وتغييره ، وبناء شخصيته الجديدة ، بما له من امكانيات مؤثرة ٠ فهو يغني عملية البناء الجديدة ، ويطور اساليبها ، ويدفع الانسان الى استعادة قيمته ، وتحقيق وجوده ،، عبر بحثه عن حريته ومعنى

وجوده ، ضمن بحثه عن حرية امته ومعنى وجودها •

ان الحديث عن علاقة الثورة بالادب ، لا يعني ان هذه العلاقة تقتصر على مرحلة دون سواها • فهي تسبق قيام الثورة ، كما انها ترافقها في كل مراحل نضجها وتطورها ليبقى الادب معبرا عن هذه الثورة ومديات تطورها ، وافاقها المستقبلية ـ اي ان لا يكون الادب تبريريا وصفيا للثورة ومسيرتها حسب ، بل يجب ان يكون ، الى جانب ذلك هاديا ومبشرا بما هو افضل حتى في اطار المجتمع الثوري •

ان للثورة مراحل واعمارا شأنها شأن الكائن الحي ، وبالتالي فان مهمة الادب تختلف من مرحلة الى اخرى ، فهو يساهم قبل ولادة الثورة ، في انضاج ملامحها ، وليس مجرد التنبؤ والتوقع لها ، او التمهيد النظري لقيامها• انه يساهم مساهمة كبيرة ومباشرة في ايصال عوامل الثورة الى مستوى التفجر ، وعندما تبدأ مسيرة الثورة ، مع نضج الفكرة والاداة والخطوط العريضة ، تبدأ مهمة جديدة للادب ، هي مهمة تعميق هذه المسيرة ، والتعبير عنهـــا •

وهكذا فان مهمات الادب انما تتركز في كل مرحلة من هذه المراحل بجوانب محددة • فمثلا نجد ان الشعر ابان ثورة الجزائر قد ادى دورا كبيرا في توضيح اهداف هذه الثورة ، وفي تعميق الثقة بقدرات الامـة علـى مواجهة أعدائها ، والانتصار عليهم بالرغم من عدم التكافؤ الذي كان قائما بين الاستعمار وقوى الثورة •

كذلك نجد ان تركز النضال العربي باتجاه الوحدة والعمل الوحدوي ،

في الفترة التي تلت قيام الوحدة بين مصر وسورية عام ١٩٥٨ ، قد وجد صداه في تنامي دور الكتابة الفكرية والسياسية الى جانب الرواية والقصة والقصيدة، هذا الصدى الذي تمثل في تعميق الربط بين الفكر الوحدوي ، والنضال الاشتراكي ، ومفهوم الحرية •

وهكذا ، ومع توالي النكسات والانتصارات ، في مسيرة حركة الثورة العربية تتنوع وتغتني رسالة الادب ، مما يؤكد دوره في هذه المسيرة وما الدور الذي يؤديه الادب في قادسية العرب الجديدة ـ قادسية صدام ـ الا الدليل القاطع على هذه الصلة الصميمية بين الادب وثورة الانبعاث القومي . حيث سلطت ، ومن خلال هذه المعركة ، اضواء جديدة على حجوم التحديات التي تواجهها النهضة العربية ، وطبيعة الترابط بين هذه التحديات من جهة ، وصيغ مواجهتها الثورية من جهة اخرى •

فالنضال الحقيقي الجدي العميق ، اذن ، هو بمثابة الغذاء الاساسي للانتاج الادبي ، كما ان الادب يمارس الدور نفسه ، فيغذي النضال ويعمقه ، ويرتفع به ، باستمرار ، الى مستوى الاهداف الكبرى للانبعاث القومي المعاصر ، لانه يرتفع بالمناضلين والجماهير الى مستوى اعلى في تحقيق شخصيتهم النضالية الانسانية •

فدور الادب ، ومن خلال علاقته بالعقيدة والثورة ، دور مهم واساسي ، لانه يحقق التكامل في الشخصية النضالية ، غير انه ليس دورا مستقلا ، وانما هو دور مكمل ، بالرغم من خصوصية ميدانه ـ اي ان المخاطبة غير الثورية ، وغير المتصلة بمعاناة المجتمع ، ومعاناة الانسان العربي في هذا المجتمع ، تصبح مخاطبة جزئية مشوهة ، واحيانا سلبية • كما ان الطابع العقلاني • العقيدة ، وفي العمل السياسي ، يفتقر الى عامل من عوامل تأثيره ، عندما لا يكون

مصحوبا ، ومدعوما بالبعد المكمل ، الذي يتوجه اليه الادب .

من هنا يتضح ان العلاقة بين الادب والعقيدة والثورة ، هي علاقة تكملية تقوم على التأثير المتبادل بينهما . ذلك ان الاحداث العظيمة والخطيرة، في حياة الامم والشعوب ، تؤثر في الادب بالقدر الذي تغير من مساره ، وتعطيه مناحي جديدة ، كما يؤثر الادب ، وسائر الفنون المختلفة ، في مجرى الاحداث فتغير من مسارها ، وتمنحها عناصر اكبر للقوة والديمومة .

وحيث ان البعث حركة ثورية ذات عقيدة قومية اشتراكية ، لها اهدافها المحددة ، فان ما هو في اطار الادب البعثي ، كل ما يعبر عن اهداف هذه الحركة الثورية ويخدم نضالها في مواجهة اعدائها ، وبأوسع معاني التعبير ، وبجميع اشكال هذا النضال ، على اختلافها ، وتعدد مساراتها ، في اطار المجتمع العربي كله .

واخيرا ، ثمة ملاحظة اساسية في هذا الجانب ، لابد من الاشارة اليها، وهي انه بقدر مايكون فيهالادب الثوري تعبيرا عن حالة عامة من الالتزام بمنهج الثورة وبمصالح الشعب ، فأن الادباء الاكثر قدرة على الالتزام بهذا المنهج ، والتعبير عنه والاسهام في دفعه على طريق تطوره ، يشكلون طليعة الادب البعثي ، هذه الطليعة التي تأخذ دورها في الواقع العربي ، من خلال الالتزام بالعقيدة العربية الثورية ، فكرا وممارسة ، والانطلاق منهما لتطوير ادب عربي يواكب النضال المعاصر للامة ، ويعبر عنه ، ويسهم في شق الطريق امامه نحو تحقيق اهدافه في بناء المجتمع العربي الجديد .